﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠﴾ [طه: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد بيان عظمةِ الـذِّكـر شـرعَ في بيان موقفِ الـنّـاس منه وجزاء المُعرضين

لمّا بيَّن النَّظم الجليل الإنعام على النَّبيِّ ﷺ بإيتائه الذِّكر، وبيَّن له أنَّه عظيم الشأن؛ أتبعه ببيان الوعيد على من أعرض عنه، ولم يؤمن به[1]، فبيَّن العاقبة السَّيِّئة لمن غفل عن تعاليم القرآنِ، وأعرضَ عن هدايته وكفر بها، إثرَ نزوله وبيانه، فاشتمل هذا الكتاب على كلِّ الخير، وكان ما ليس فيه، هو أصل الشَّقاء والضَّلال البعيد[2]، ولم يظهر شقاءُ البشرِ إلّا مرتبطًا بالبُعد عن منهجِ الله القويم، والنَّأي عن صراطه المستقيم، وهو ما يعكس مآلَهُم يومَ القيامة، حيثُ يكونُ الإعراضُ عن هدى الله أوزارًا يحملها صاحبها في موقف الحشر الأكبرِ، وبها يكون مصيرُهُ، ويتحدَّد عذابُهُ المحرجُ الأليم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعْرَضَ﴾: (عرض) أصْلٌ يدلُّ على العَرضِ الَّذي يُخالِفُ الطُّولَ، ومِنَ البابِ: أعْرَضْتُ عَنْ فُلانٍ، وأعْرَضْتُ عَنْ هَذا الأمرِ، وأعْرَضَ بِوَجْهِهِ[3]، وأعْرَضَ: أظهر عَرْضَهُ، أي: ناحيته، فإذا قيل: عَرَضَ لي كذا، أي: بَدا عَرْضُهُ، فأمكن تناولُهُ، وإذا قيل: أعْرَضَ عنّي، فمعناه: ولّى مُبديًا عَرْضَهُ، قال: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: 22]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه: 124][4]، والمقصود بالإعراض في الآية ترْكُ الإيمانِ بما أنزل من الذِّكر.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 97.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 340.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(4) الرّاغب، المفردات: (عرض).

2) ﴿يَحْمِلُ﴾: (حمل) أصْلٌ يَدُلُّ على إقْلالِ الشَّيْءِ[1]، وحَمَلْت الشَّيءَ على ظَهْري أحْمِلُه حَملًا[2]، قال الأصمعيُّ: الحميلُ ما حمله السَّيل من كلِّ شيء، وكلُّ محمولٍ فهو حميل، كما يقال للمقتول: قتيلٌ، ومنه قولُ عمر في الحميل: لا يورثُ إلّا ببيِّنة[3]، وقيل في الأثقال المحمولة في الظّاهر، كالشَّيء المحمولِ على الظَّهر: حِملٌ، وفي الأثقال المحمولة في الباطن: حَملٌ، كالولد في البطن، والماءِ في السَّحاب، والثَّمرة في الشَّجرة تشبيهًا بحَمل المرأة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: 18]، يقال: حَمَلْتُ الثِّقل والرِّسالة والوِزرَ حَملًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13][4].

3) ﴿وِزْرًا﴾: (وزر) أصْلٌ يدلُّ على الثِّقَلِ في الشَّيْءِ، والوِزْرُ: حِملُ الرَّجُلِ؛ إذا بَسَطَ ثَوْبَهُ، فجَعَلَ فيه المَتاعَ، وحَمَلَهُ، ولذلك سُمّي الذَّنبُ وِزرًا[5]، والوِزرُ: الحِملُ الثَّقيلُ، والوِزرُ: الذَّنْبُ لِثِقَلِه، وجَمعُهُما أوْزارٌ، وأوْزارُ الحَرْبِ وغَيْرُها: الأثْقالُ والآلاتُ، واحِدُها وِزرٌ[6]، والوِزْرُ: الثِّقلُ تشبيهًا بِوَزْرِ الجبلِ، ويُعبَّر بذلك عن الإثم كما يُعبَّر عنه بالثِّقل، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ [النحل: 25]، كقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13][7]، والمراد به في الآية الكريمة العقوبةُ الثَّقيلة المتسبِّبة عنِ الذُّنوب[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ من كذَّبَ بالذِّكر الَّذي أنزله الله تعالى على النَّبيِّ ﷺ، وأعرض عن اتِّباعه، وابتغى الهدى من غيره، فإنَّه سيحمل يوم القيامة من الأوزار والآثام ما لا يقدرُ على حملِه، بل يُنقضُ ظَهرَهُ، كما في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: 17]، وكلُّ من بَلَغَه القرآن من العرب والعجم؛ فهو نذيرٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حمل).
(2) ابن منظور، اللّسان: (حمل).
(3) القاسم بن سلّام، غريب الحديث: (حمل).
(4) الرّاغب، المفردات: (حمل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وزر).
(6) ابن منظور، اللّسان: (وزر).
(7) الرّاغب، المفردات: (وزر).
(8) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.

له، فمن اتَّبعه؛ اهتدى، ومن أعرض عنه؛ ضلَّ وشقي في الدُّنيا، والنّار موعده يوم القيامة[1].

الـضَّـلال عن القرآن في الدُّنيا هـوان، وسوء المـصـير يـوم القيامة خسرانٌ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ ﴿مَّنْ﴾ في سياق الآية:

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم ﴿مَّنْ﴾ الَّذي يحتمل أن يكون اسمَ شرطٍ أو اسم موصول متضمِّنًا معنى الشَّرط، وأيًّا ما كانت؛ فالجملةُ صفةٌ لـ﴿ذِكْرًا﴾[2]، في قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾؛ للدَّلالة على عموم النّاس الَّذين يُعرضون عن القرآن الكريم[3]، ودلَّ على ما فيه من معنى الشَّرطيَّة تعلُّقُ الجملة الثّانية بالأولى تعلُّقًا مؤكَّدًا ناجزًا، فجعل تحقُّقَ الوزرِ يوم القيامة بسبب الإعراض عن القرآن في الدُّنيا، كتعلُّقِ العقد بين شيئين؛ إذا وقع أحدهما كان الثّاني مستحقًّا على وجه التَّأكيد.

جـمـلُ الـوزرِ متعلِّقٌ بالمُعرِض تَـعَـلُّـقَ السَّـبـبِ بالنَّتيجة

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالماضي ﴿أَعْرَضَ﴾:

عبَّر النظمُ الكريم بالفعل الماضي ﴿أَعْرَضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الحكم المعلَّق - وهو حِمل الوزر يوم القيامة - إنَّما يكون على من تحقَّق بالإعراض، ووقع من الإعراض على وجه التَّمام حتّى تلقّاه الأجل، وقوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾، يعني: أنَّه من أعرض عن ذلك الذِّكرِ العظيم الشَّأنِ، وقد اصطفاه الله للبشر، وخصَّهم به دون من خلق، وهو مستتبِعٌ لسعادة الدّارين، وقيل أيضًا: إنَّ الإعراض مرادٌ به الإعراضُ عن الله ﷻ[4]، وأيًّا كان المعنى في الوجهين، فإنَّ الإعراض فعلٌ مشين يؤدّي إلى سوء العاقبةِ في الآخرة.

الإعـــراضُ عن الـلـه خـسـارٌ، والإعـــراض عن هدايته بوارٌ

(1) المراغيّ، تفسير المراغي: 16/ 149.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 340.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.

نكتةُ تصديرِ جملة الجواب بحرف التَّوكيدِ:

صدَّر النَّظمُ الجليل الجملةَ الاسميَّة بحرف التَّأكيد، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا﴾؛ تأكيدًا لمضمون الجملة، وتحقيقًا للخبر، والمعنى: يَحْمِلُ يَوْمَ القيامَةِ وِزْرًا، أي: عقوبة ثقيلة على إعراضه وسائر ذنوبه[1]، وقد جاء التَّأكيدُ بغرض تعظيم شأنِ الإعراض وخطره، وما يؤدّي إليه من أضرارٍ، وأراد بالوِزر الإثمَ، واستعمل اللَّفظ باعتبار أنَّ عقابه سيكون ثقيلًا[2]، وسوف تنوء به النَّفسُ يوم يُنفَّذُ فيها العقابُ، وهو ما ينسجم مع توكيده البارز في مطلع الآية.

حِملُ الوِزرِ يوم القيامة ينوءُ به الكاهلُ، ويشقى به صاحبهُ

بلاغةُ التَّمثيلِ في قوله: ﴿يَحۡمِلُ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل عن تحمُّل الكافرين سوءَ أعمالهم يوم القيامةِ بالحِمل، في قوله تعالى: ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾، وذلك تعبيرٌ عن العقوبة الثَّقيلة الباهظة، فقد سمّاها وِزرًا تشبيهًا في ثقلها على المعاقب، وصعوبة احتمالها، بالحمل الَّذي يُنقِضُ ظهرَ حاملِه، وقد ورد في القرآن أنَّ الكافرين يأتون يوم القيامة، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: 25]، تعبيرًا عن ثقل الذُّنوب على أصحابها[3].

الذُّنوب ثقيلةٌ كثقل الأحمال الَّتي تنقض الظُّهور

دلالةُ لفظ ﴿وِزۡرًا﴾ بين الاستعارةِ والمجازِ المرسل:

لفظُ ﴿وِزۡرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾، يُطلق في العربيَّة على معنيين: الأوَّل: بمعنى الحمل الثَّقيل، والثّاني: بمعنى الإثم، وقد اختار السّياق القرآنيُّ المحكم إطلاقَهُ على العقوبة نظرًا إلى المعنى الأوَّل، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، حيث شُبِّهَتِ العقوبةَ بالحمل الثَّقيل، ثمَّ استُعير لها بقرينة ذكرِ يوم

ورودُ الصّورة في السّياق بلاغةٌ واتِّساقٌ

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 8/ 865.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4783.
(3) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 9/ 149.

القيامة، أو هي من المجاز المرسل، من حيثُ إنَّ العقوبة جزاءُ الإثم، فهي لازمةٌ له أو مسبِّبة له، قال الآلوسيُّ: والأوَّل هو الأنسب، ويدعمه قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾، ويؤيِّده قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: 13][1].

سرُّ تقديم الظَّرف على المفعول به:

تعجيلُ بيانِ سوءِ الحِملِ وفداحتِه، بكونِه كائنًا يوم القيامة

قدَّمَ النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة على المفعول به، في قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾، ولم يقل: (يحمل وزرًا يوم القيامة) على أصل التَّركيبِ، وذلك للتَّنويه بفداحة ذلك الحملِ؛ لأنَّه كائنٌ في يوم القيامة، وهو يوم تُبلى السَّرائر، وتُكشفُ الخبايا وتُعرَفُ المصائرُ، ولا توجد حماية ولا وقاية، ولا شفاعة ولا وساطة، فيكون الخطْبُ عظيمًا، والحزن مقيمًا، والحساب عسيرًا.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ (الوِزْر) دون سواه:

الأوزار آثامٌ في الحشر عظيمةٌ، وهي في الميزان كالأحمالِ الثَّقيلة

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ الوزر بصيغة التَّنكير، في قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّها بالغة الثِّقل، وجعل محمولًا تَمثيل لِمُلاقاةِ المشقَّةِ مِن جَرّاءِ الإثمِ، فالوزرُ "هو العقوبة الثَّقيلة، سمّاها: وزرًا تشبيهًا في ثقلها على المعاقَب، وصعوبةِ احتمالها الَّذي يثقل على الحامل، ويُنقضُ ظهرَهُ"[2]، والأصل أنَّ الوزر هو الحمل، والمرادُ به العقابُ المتسَبَّبُ عن الذَّنبِ، فأُقيم السَّببُ مقامَ المُسَبَّبِ[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوِزرُ والذَّنب:

الوِزرُ هو الحِملُ الثَّقيلُ، ويعبَّر بذلك عن الإثم، كما يُعبَّر عنه

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 8/ 568.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 97.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 102.

بالثقل، وسمّي الذَّنب وزرًا لِثقَلِه[1]، أمّا الذَّنب؛ فهو كلُّ فعلٍ يُستوخمُ عقباه اعتبارًا بذنب الشَّيء، ولهذا يُسمّى الذَّنَبُ تبعةً، اعتبارًا لما يحصل من عاقبته[2]، فالذَّنب يُنظر فيه باعتبار العاقبةِ، والوِزر يُنظر فيه باعتبار الثِّقل، فيشير الوِزرُ إلى ثقل الذَّنب، فالذَّنب أعمُّ مِنَ الوزر، والوزر خاصٌّ بما كان ثقيلًا من الذُّنوب الَّتي تسبِّب العقاب؛ لأنَّه "يُفيد أنَّه يثقل صاحبه"[3]، فعبَّر في الآية الكريمة بالوِزرِ؛ لأنَّه ذكر الحِمل، والحِملُ لا بدَّ أن يكون ثقيلًا، فناسبَ ذلك التَّعبيرُ به دون الذُّنوب والآثام.

الـــوِزرُ هـو ما كـان ثـقيـلًا من الذُّنوب، والذَّنب عاقبةُ كلِّ عملٍ سيِّئ

(1) ابن منظور، اللّسان: (وزر).
(2) الرّاغب، المفردات: (ذنب).
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 234.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»